مجلة روافد
للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية
المجلد 06 (03) ديسمبر 2022 ص ص 960-974

# العلاقات الثقافية الرستمية الأندلسية بين القرن الثالث إلى الرابع الهجري

# Andalusian Rustamid Cultural Relations Between The Third to The Fourth Century AH

مصطفى باديس أوكيل*

[1] جامعة أكلي محند أولحاج البويرة (الجزائر).

البريد الالكتروني: oukilmb@gmail.com

| تاريخ الإيداع | تاريخ القبول | تاريخ النشر |
|---|---|---|
| 2022/06/27 | 2022/09/25 | 2022/12/01 |

**الملخص:** عرفت العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط على العهد الرستمي والأندلس بداية من القرن الثالث للهجرة –خاصة- تميّزا وتألقا بحكم الظروف (السياسية والجغرافية أولا) التي جمعتهما والتي وجدوا فيها ضالتهم، فإلى جانب العلاقات السياسية والاقتصادية الحسنة (رغم الاختلاف المذهبي) ،عرف التمازج الثقافي بين الضفتين نشاطا كبيرا، فكانت الدولة الرستمية عبارة عن جسر يضمن استمرار التدفق الحضاري من المشرق إلى الأندلس، كما ساهم الأندلسيون في حضارة الرستميين وكانوا همزة وصل كذلك.

من علماء الدولة الرستمية الذين زاروا الأندلس نذكر على السبيل المثال، "قاسم بن عبد الرحمن التاهرتي" و" وبكر بن حماد، وأحمد بن القاسم بن عبد الرحمن التاهرتي"، أما من جانب الأندلسيين الذين استقروا أو مروا بتاهرت نذكر مثلا "محمد بن عبد الله الغازي، والغازي بن حسن، وأبا العباس أحمد بن عيسى بن محمد المقري، وزكريا بن بكر بن أحمد الغساني وغيرهم.

سأحاول من خلال هذا المقال إبراز أهم مجالات التواصل الثقافي بين المغرب الأوسط "الرستمي" والأندلس، وأهم علماء الإقليمين في مجالات مختلفة والذين أثروا أو تأثروا بالطرف الآخر، مع التركيز على نتائج هذا التلاقح.

***الكلمات المفتاحية:*** *المغرب الأوسط ؛ الرستميون ؛ الأندلس ؛ الأمويون ؛ الحضارة.*

**Abstract:** The cultural relations between the Middle Maghreb were known by their great brillance during the rustamid and Andalusian ereas from the begining of the third century of el-hidjra because of the political and geographical conditions that brought them together and in which they found their goal.

* **المؤلف المرسل**

Besides good political and economical relationship, the cultural mixing and blending Between the two sides were known by its good working conditions, so the Rustami state was a bridge that ensured the continuation of the civilized flow from the East to El-andalus.

The Andalusians also contributed to the Rostamid civilization and the Andalusian histurian «Ibn Hayyan »says that prince Muhammed bin Abd Rahman al-Andalusi was very intrested in the news of the coast » it means the Middle Maghreb ,taking into account the news that there is.

Among the Scholars of the Rustami state who visited El-Andalus, we mention for example but not limited to « Qasim bin Abd Rahman Al-Taherti , Bakr bin Hammed and Ahmed bin Al-Qasim bin Abd Rahman Al-Taherti »

As for the Andalusians who settled or passed through Tahert, we mention for example « Mohammed ibn Abdallah Al-Ghazi ; Al-Ghazi ben Al-Hassen , Abu Al-Abbas Ahmed ibn Issa ben mohammed Al-Maqri and Zakaria ben Bakri ben Ahmed Al-Ghasani and others…

***Keywords:*** *middle Maghreb; the rostamites; andalus;umayyads; civilization.*

**تمهيد**

لا يخفى على القارئ والباحث أن مسيرة الثقافة في تاريخ أية أمة من الأمم لا يمكن فصلها من قرن وآخر، وإنما يمكن تمييز مراحل خاصة بعصر دون آخر نظير عوامل ومظاهر تبرز وتطغى ليتسم ويشتهر بها ذلك العصر، وكما هو معلوم فإن القرن الثالث للهجرة ،هو قرن تطور الحضارة العربية الإسلامية بصفة عامة من خلال تلك النقلة النوعية في حركة التأليف والترجمة والاختراع وفي جميع مناحي الحياة، هذا التطور الحضاري الذي كان له تأثير على المغرب الإسلامي في هذه الفترة من التاريخ.

لقد ظهرت الدولة الرستمية بالمغرب الأوسط سنة 160هـ / 777م، وكانت من بين أقدم الإمارات المستقلة عن الخلافة العباسية، كما استقلت بشخصيتها ومذهبها على أرضها، وهو ما سمح لها من إقامة علاقات خارجية متفاوتة الأهمية مع الدول المجاورة لها أو حتى البعيدة عنها، وحتى المختلفة معها سياسيا ومذهبيا، وهذه العلاقات التي رسّخ فيها الرستميون معالم دولتهم في جميع مناحي الحياة، وهو ما زاد في تطورهم الحضاري.

من بين هذه الدول التي ربطت صلات حضارية مع الدولة الرستمية ،الدولة الأموية في الأندلس، ومنه تأتي أهمية هذا الموضوع في البحث وإبراز أهم مجالات التواصل

الثقافي بين المغرب الأوسط (الرستمي) والأندلسي في العهد الأموي أي بين القرنين الثالث والرابع الهجريين، وهي إشكالية عامة للموضوع وتندرج تحتها تساؤلات فرعية مثل: من هم أهم العلماء الذين كانوا يمثلون حلقات وصل بين الإقليمين الرستمي والأندلسي؟ وإلى أي مدى كان دورهم فعّالا في التلاقح الثقافي؟ وكيف كانت جسور التواصل الثقافي بين الدولتين؟ وماهي نتائج تلك الصلات الثقافية؟ هي تساؤلات وأخرى نحاول الإجابة عنها في ورقتنا هذه، والتي اعتمدت على مجموعة من المصادر الإباضية : كأبي زكريا في كتاب سير الأئمة وأخبارهم، وكتاب السير للشماخي، وكتاب طبقات المشائخ للدرجيني وغيرها، مع مجموعة من الدراسات السابقة ككتاب العلاقات الخارجية للدولة الرستمية لعبد الكريم جودت، وكتاب الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي لمحمود إسماعيل، كتاب الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي لمحمد عيسى الحريري، وكتاب إبراهيم العدوي بلاد الجزائر تكوينها الإسلامي والعربي، وكتاب عبد العزيز فيلالي العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب ودراسات أخرى لا يتسع المجال لذكرها.

يبدو ظاهرا أن العلاقات السياسية كانت سباقة عن نظيرتها الثقافية، كيف لا وقد التقى أمراء بني أمية في الأندلس وعاصمتهم قرطبة بالأئمة الرستميين وعاصمتهم تاهرت، ونشأت بينهم صلات من الصداقة والمودة وعدوهم مشترك ألا وهو الدولة العباسية **(**عبد العزيز، 1981، ص، 569**)**.

لقد كانت أرض المغرب من قبل هجرة أولى وملاذا لعبد الرحمن بن معاوية مؤسس الدولة الأموية بالأندلس، حين لحق عبد الرحمن بمغيلة ويقال بمكناسة، وعلى ذكر ابن خلدون**(**ابن خلدون، 2000، ص، 155**)** "نزل على قوم من زناتة فأحسنوا قبوله واطمأن فيهم ثم لحق بمليلة".

لقد توجه الأمويون إلى بني رستم لعدة عوامل منها: موقعهم الجغرافي المتوسط (المغرب الأوسط) وهم بين عدّوين، في الشرق الأغالبة المتحالفين مع بني العباس، وإلى

الغرب دولة الأدارسة المناوئة لهم، فكانوا بهذا الموقع بين فكي كمّاشة على حد تعبير أحد المؤرخين، فكان طبيعيا أن يتقارب الرستميون في تاهرت مع بني أمية في الأندلس سياسيا اقتصاديا وربما عسكريا، وتلتقي مصالحهما في الدفاع المشترك **(**فيلالي، 1999، ص96**)**، ويحدث الود في جميع الميادين السياسية الاقتصادية والحضارية **(**العدوي، 1970م، ص220**)**.

لقد اعتبرت الدولة الرستمية دولة للتسامح المذهبي، ففي مساجدها كانت حلقات العلم تحوي علماء من مذاهب مختلفة، وتعقد بها المناظرات الدينية والعلمية، ومن هنا كانت تيهرت ملجأ لبعض العلماء الذين لم يجدوا تلك الحرية في بلدانهم، ماعدا المناوئين للدولة الأموية في الأندلس، فقد منعوا من الاستقرار بتيهرت بسبب العلاقات الطيبة التي كانت بين الإقليمين، وهذا ما نقرأه في رواية لابن القوطية (ابن القوطية، 1989، ص ص 103، 10)، وانظر (دياب، 1913، ص 192) وهي نفس الرواية التي ذكرها محمد دياب بك لكن بتفسير آخر هو أن الشيخ حرّض عمر بن حفصون على محاربة الأمويين بالأندلس) عن ثورة قام بها "عمر بن حفصون"، والذي اجتاز البحر إلى تاهرت ،فصار عند رجل من الخياطين وفي مجلسه شيخ، فأنكر كلام ابن حفصون وقال له: "يامنحوس تحارب الفقر بالإبرة، فقام من فوره خوفا من أن يلقي بنو أبي يقظان مالكي تاهرت القبض عليه وولائهم لبني أمية".

**العلاقات الثقافية:**

صاحب حسن العلاقات السياسية علاقات ثقافية حضارية ضخمة بين الرستميين في المغرب الأوسط والأمويين في الأندلس، حيث اعتبرت الدولة الرستمية الجسر الذي يربط ويضمن التدفق الحضاري من المشرق إلى بلاد الأندلس، ومنه حرص حكام بنو أمية على ربط الصلات الوثيقة مع أمراء بني رستم، حيث اعتبروهم حلقة وصل لنقل تيارات الحضارة العربية الإسلامية القادمة من المشرق، وقد مثلت الدولة الرستمية الوعاء أو

المحطة التي يقتبس منها بنو أمية كنوز المشرق العربي من مؤلفات ومخطوطات وعلوم مختلفة وعلماء (العدوي، ص221) ، خاصة إذا علمنا أن بالدولة الرستمية مكتبة ضخمة تسمى "مكتبة المعصومة" (أبو زكريا، 1979، ص 65)، (الشماخي، 1992 ، ص 72) ــ وهي أشهر مكتبة عند الرستميين ــ حيث يذكر أبو زكريا: "أن أهل المشرق بعثوا إلى عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم أربعين حملا من الكتب"، وهي المكتبة التي قال عنها المؤرخ إسماعيل عبد الرازق: "أنها حوّت على أمهات الكتب الدينية والدنيوية من رياضيات وفلك وشتى أنواع الصنائع" **(**إسماعيل، 1976، ص 298**)**، أما الشماخي فقد ذكر أن الإمام عبد الوهاب أتته خزانة كتب وهو الذي أرسل ألف دينار إلى إخوانه بالبصرة أن يشتروا له بها الكتب، ولما وصلتهم الألف اشتروا بها رقا فنسخوا له فيها وقر أربعين حملا كتبا، فلما بلغته تشّمر وجدّ لقراءتها ليلا وبعض أوقات النهار).

من عوامل التلاقح الثقافي بين الدولة الرستمية والدولة الأموية في الأندلس هو تواجد جالية أندلسية معتبرة وصاحبة علم بتيهرت، إما مقيمة بها أو متوقفة بها للراحة في طريقها إلى المشرق الإسلامي، وما سهل هذه الإقامة وهذه الروابط هو تواجد مراسي مأمونة للرستميين، ومن هذه المراسي ميناء تنس الذي بينه وبين مدينة وهران سبع مراحل (المراكشي، 2005، ص 253)، وميناء آخر وهو ميناء عين فروخ وهو أهم ميناء يربط الدولة الرستمية بالأندلس على البحر الأبيض المتوسط ويواجه موانئ شاطبة وتدمير ومرسى أقله الأندلسية (إسماعيل، 1976، ص، ص 136-137).

يعتبر ميناء عين فروخ هذا الذي يسميه البكري عين فروج كذلك، يقول عنه: "مرسى شتوي مأمون وله أبار وماء والسكنى منه على مقربة، وبينه وبين وهران في البر أربعون ميلا، ويقابله من الأندلس مرسى مدينة لورقة" **(**اليعقوبي، 1956، ص 105**)**.

من هذين الميناءين كانت حركة البضائع وخاصة الأشخاص (العلماء) حرة صيفا وشتاءا، فرأينا قبائل بربرية انتقلت من المغرب الأوسط لتستقر بالأندلس، وهي التي ذكرها

المؤرخ ابن حزم **(**الأندلسي، 2007، ص ص 498- 501**)** تحت عنوان "البيوتات البربرية بالأندلس"، وذكر منها قبائل وزداجة وقال: "منهم بنو دليم الفقهاء، ومنهم مغيلة بنو إلياس، وبنو زروال الأمراء"، وقال: "فهم إباضية مع العلم أن قبائل بنو زروال هم من القبيلة الأم مغيلة، ــ وهي القبيلة التي تحدّثنا عنها سابقاــ والتي استقر عندها عبد الرحمن الداخل (صقر قريش) أثناء فراره من بني العباس إلى المغرب قبل خروجه إلى الأندلس، ولهذا كانت علاقات حسنة قديمة".

وعن بيوتات البربر في الأندلس يتحدّث صاحب كتاب مفاخر البربر (الإيلاني، 2008، ص ص 86-87)، ويذكر بنو يفرن وبنو برزال وبنو أدمر وبنو خزر، ويذكر قبيلة مغيلة ومنهم أحمد بن محمد بن إلياس المغيلي، ويقول: "الوزير القائد الذي ولي الولاية الجليلة لعبد الرحمن الناصر أمير المؤمنين".

ويؤكد هذا الاتصال مؤرخ الأندلس ابن حيان (القرطبي،1971، ص 266) عندما يقول بأن: "الأمير محمد بن عبد الرحمن كان شديد الاهتمام بخبر الساحل والعدوة -يقصد المغرب الأوسط- مراعيا لما هناك من أخبار أعدائهم المسوّدة متجسسا عن عمالهم محتولا عنهم لكثير ممن يتعرّف عليه من ملوك البربر الملقين إليه بالولاية... كمحمد بن أفلح بن رستم أمير تاهرت، ولهذا كان أمراء بني أمية يهادنون أئمة الرستميين تودد واكتسابا لصداقاتهم" **(**عبد العزيز، 1981، ص570**).** ومنه انتقل عدد كبير من العلماء الأندلسيين إلى تاهرت، إما استقرارا أو مرورا بها، وهذا للتزوّد بالعلوم في مكتباتها ومساجدها، ومن بين هؤلاء العلماء "محمد بن عبد الله الغازي، والغازي بن قيس، وأبا العباس أحمد بن عيسى بن محمد المقري، وسعيد بن حسان بن العلا، وزكريا بن بكر بن أحمد الغساني **(**جودت، 1984، ص 168**)**، وعمران بن مروان الأندلسي ومسعود الأندلسي **(**الدرجيني، ص46**)**، وكان فاضلا فقيها ورعا من شيوخ المسلمين، وذكر مروان الأندلسي اللذان رشحهما عبد الرحمن بن رستم من قبل ليكونا ضمن المرشحين

لخلافته (عبد العزيز، 1981، ص570)، ويذكر الأستاذ بحاز: "أن رواية اختيار عمران بن مروان ومسعود الأندلسيان لخلافة عبد الرحمن بن رستم تدل على عمق العلاقة الثقافية الموجودة بين تيهرت والأندلس" (بحاز، 1993، ص 387).

تواصلت العلاقات الحسنة بين العدوتين في عهد أفلح بن عبد الوهاب الرستمي بالتودد والهدايا، وكان لأفلح مقام رفيع بالأندلس ينظرون إليه بعين الإجلال والاعتبار، وتواصل الأمر على هذا الحال حتى قال ابن عذاري (المراكشي، 1983، ص 108): "وكان محمد بن أفلح صاحب تاهرت لا يقدّم ولا يؤخر في أموره ومعضلاته إلا عن رأيه وأمره"، ويقصد الخليفة الأموي محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام.

لقد لعبت الدولة الرستمية بحق دور الوسيط الثقافي بين العدوتين، فجلب بعض العلماء مختلف العلوم من المشرق العربي. وتحولوا بها إلى الأندلس، ومنهم نذكر على سبيل المثال: الغازي بن قيس الأندلسي الذي أدخل موطأ الإمام مالك بن أنس وزياد بن عبد الرحمان اللخمي الذي أدخل الموطأ بقراءة نافع، وعباس بن ناصح الذي أدخل شعر بن أبي نواسر (جودت، 1984، ص 169)، فكانت بهذا الدولة الرستمية على حد تعبير أحد المؤرخين ماء الحياة الذي جدد انطلاق الإسلام إلى غرب أوربا عن طريق الأندلس (الحريري، 1987، ص 220). ومثلما استقبلت الدولة الرستمية علماء أندلسيين، وجدنا كذلك علماء من المغرب الأوسط بالأندلس على غرار عبد الرحمن بن بكر بن حماد التيهرتي الشاعر الذي ذكره ابن الفرضي (الأزدي، 1997، ص 220) بأنه من أهل القيروان، وقال: "يكنى أبا زيد" وقد قدم الأندلس وحدّث عن أبيه، ومن حديثه قال: "وكان ينسب إلى مقارفة الشراب، توفي بقرطبة.

ومنهم إبراهيم بن عبد الرحمن التنسي الذي سكن مدينة الزهراء ويكنى أبا إسحاق، قال عنه ابن الفرضي سمع من وهب بن سمرة الحجاري وأبي علي إسماعيل بن قاسم البغدادي، وكان يفتي في جامع الزهراء، توفي سنة 387هـ (الأزدي، 1997، ص 25).

من العلماء التيهرتيين الذين زاروا الأندلس إما لطلب العلم أو حتى للتدريس قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد التيهرتي، دخل الأندلس وكان من جلساء بكر بن حماد التاهرتي وممن أخذ عنه، وهو أبو محمد علي بن أحمد، وهو والد أبي الفضل أحمد بن قاسم الذي روى عنه أبو عمر بن عبد البر **(**الحميدي، 1989م، ص 529**)**.

ومنهم أحمد بن القاسم بن عبد الرحمن التاهرتي الذي حظي بمكانة عظيمة عند منذر بن سعيد القاضي، فسمع منه تواليفه كلها، كما سمع من أبي وكيم وقاسم بن أصبغ، ووهب بن مسرة، ومحمد بن معاوية القرشي وأبي بكر الدينوري **(**الحريري، 1987م، ص 221**)**. كما وجدت جماعات من الإباضية بالأندلس وهي التي تحدّث عنها ابن حزم **(**ابن حزم، 1996، ص51**)** قائلا: "قال أبو محمد: وشاهدنا الإباضية عندنا بالأندلس يحرمون طعام أهل الكتاب، ويحرمون أكل قضيب التيس والثور والكبش، ويوجبون القضاء على من نام نهارا في رمضان فاحتلم، ويتيممون وهم على الآبار التي يشربون منها إلا قليلا منهم، وهو دليل على وجود مجموعات كثيرة من الاباضية تسمح لهم بممارسة مذهبهم في الأندلس المعروف أهلها بتمسكهم بالمذهب السني المالكي.

كما ذكر ابن حزم **(**ابن حزم، 1996، ص 55**)** في موضع آخر أن الفرقة النكارية من الإباضية هي الغالبة على خوارج الأندلس، وهو الذي ذكر فرقة منهم تسمى الثعالبة أصحاب ثعلبة وقال: "إلى قول الثعالبة رجع عبد الله بن إباض فبرئ من أصحابه، فهم لا يعرفونه اليوم، وقد سألهم ابن حزم نفسه مقدم طريقتهم في الأندلس عن علمهم وعن مذهبهم فما عرفه أحد منهم، وهو دليل على اختلاف الطرق والمذاهب الإباضية نفسها في الأندلس، أو ربما التنكر والخوف من قول الحقيقة.

نتيجة لهذا التواصل والتمازج الثقافي الذي بادر به الرستميون ظهرت مؤثرات إباضية بالأندلس لكنها تختلف من منطقة لأخرى من حيث التأثر والتأثير خاصة بالنسبة للأندلسيين على العموم، لكن التأثيرات الإباضية وجدت أكثر في المناطق التي عرفت

حركة تجارية أكبر بين الرستميين والأندلسيين كقرية "بلفين" في منطقة المرية والتي كان أهلها على مذهب الخوارج لا يستترون (أي يجاهرون به).

ممن تأثر بتعاليم الإباضية من الأندلسيين جابر بن ليث اللبلي، وكان يعلّم بقرطبة أبناء الوزير هشام بن عبد العزيز، وذكر أنه كان متشددا وصارما حتى أنه شبه بصرامة الإباضية (الحريري، 1987م، ص 221)، وانظر (عزب، 2013، ص175).

هذا ويذكر الأستاذ بحاز: "أن كثير من الذين سافروا إلى الأندلس من المغرب الأوسط كانوا من المالكية"، وأكثر من ذلك يقول: "لا نعرف من الإباضية اسم رجل علم رحل إلى الأندلس"، لأنه حسب رأيه فإن العلماء الإباضيين كانوا يفضّلون المشرق الإسلامي كالبصرة نظرا لوجود مشائخ الإباضية بها، ورغم هذا فإنه يرّجح وجود علماء إباضيين بالأندلس على العهد الرستمي (بحاز، 1993، ص 386).

تطور العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط الرستمي والأندلس الأموي لم ينحصر فقط بين المذهبين المالكي والإباضي وإنما امتد حتى إلى مذاهب أخرى على غرار المذهب الحنفي (جودت، 1984، ص ص95-96)، حيث وجد الأحناف بتاهرت منذ عهد عبد الرحمن بن رستم، ويبدو أن عددهم كان معتبرا حتى قيل :"لا ترى دار إلا قيل: هذه لفلان الكوفي "ــ وكما هو معروف كانت الكوفة من أهم مواطن المذهب الحنفي- حيث يذكر أنهم ناهزوا الأربعين حنفيا بتاهرت، ووصل تأثيرهم بها حتى بنوا مسجدا خاصا بهم وهو مسجد الكوفيين، ويبدو هذا دليلا واضحا في تأثيرهم بتاهرت مع انتهازهم فرصة التسامح المذهبي الذي أبداه الأئمة الرستميون تجاه المذاهب الأخرى، ويظهر أن أولئك الأربعين حنفيا كانوا من مختلف الشرائح، فوجد منهم التاجر ووجد العالم كأبي مسعود وأبي دنون، الذي تسرّب إلى الأندلس عبر تاهرت وهذا نتيجة رحلة علماء حنفية إلى هناك، إلا أن حظهما في كسب قاعدة دينية مذهبية لم يلق نجاحا على غرار المذهب

الإباضي، وهذا كما ذكرنا من قبل لتمسك وتجذّر المالكية بالأندلس وتعلق الأندلسيين بها **(**جودت، 1984، ص ص 170-171**)**.

من مظاهر التآلف الاجتماعي بين الإباضية والمالكية بتاهرت، والتي انعكست على الأندلس ما ذكره الونشريسي في معياره أن رجلا من الإباضية الوهبية تزوّج من امرأة مالكية لتقوّى شوكته بمصاهرة أهل السنة **(**الونشريسي، ص 446**)**.

وزاد التآلف الثقافي والاجتماعي أكثر عندما استقرت مجموعات من الأندلسيين بمدينة تنس التي كانت بها قلعة للأندلسيين، ونظرا للترحاب الذي لاقوه من قبل أهل تنس توطدت العلاقات أكثر، حتى أنه قيل: "أن هؤلاء الأندلسيين هم من بنوا مدينة تنس" **(**الدرجيني، ص ص 35-36**)** وأنظر **(**أبو زكريا ، 1979، ص ص54- 55**)**، ومدينة تنس أسسها الفينيقيون والقرطاجيون وجعلوها كمستودع تجاري، ثم أقام بها الرومان مستعمرة، ثم قيل: "أن الأندلسيين هم من أعادوا بناءها بعد أن خربها البربر"، وقد ذكر الحموي: "تنس الحديثة التي أسسها وبناها البحريون من أهل الأندلس ومنهم: الكركدن على حد تعبيره، وابن عائشة والصقر وصهيب وغيرهم، وذلك سنة 262 هـــ، وسكنها فريقان من الأندلسيين أهل البيرة وأهل تدمير، وكان هؤلاء البحريون يشتون هناك (يقضون فصل الشتاء) إذا سافروا من مرسى على ساحل البحر، وقال: "يجتمع إليهم بربر ذلك القطر ويرغبون في الانتقال إلى قلعة تنس، ويسألونهم أن يجعلوها سوقا وسكنى، ووعدوهم بالعون وحسن المجاورة فأجابوهم إلى ذلك وانتقل إليهم من جاورهم من أهل الأندلس، وهو دليل قاطع على التلاقح الثقافي والاجتماعي" **(**الحموي، 1977، ص 48**)**، ومن علماء هذه المدينة الذي اشتهر بالأدب والتأليف محمد بن عبد الله التنسي صاحب (نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان).

من مواقع التآلف الاجتماعي والثقافي بين المغرب الأوسط والأندلس، مدينة وهران التي ذكر البكري :"أن الذي بناها هو محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون وجماعة من

الأندلسيين البحريين الذين ينتجعون مرساها باتفاق منهم مع نفزة وبني مسقن وهم من أزداجة، وكانوا أصحاب القرشي سنة 290هـ"، قال: "فاستوطنوها سبعة أعوام وفي سنة 297هـ زحفت قبائل كثيرة إلى وهران يطالبون أهلها بالاستسلام، فنصبوا عليهم الحرب وحاصروهم ومنعوهم الماء"، قال:" ثم عاد أهلها سنة 298هـ بأمر من أبي حميد دوّاس بن صولات – ويقال داود-عامل تيهرت" **(**البكري، ص 156**)**، وهو دليل على إشراف الرستميين على مدينة وهران وتمازجهم مع الأندلسيين فيها، ومنه نستشف أن مدينتي تنس ووهران عدتا ثغران هامان يصلان المغرب الأوسط (الرستمي) والأندلس (الأموي) الإسلاميين.

أما في إمارة أفلح بن عبد الوهاب (208-258هـ/823-871 م) فقد توّسعت وتطورت مدينة تاهرت العاصمة الرستمية عمرانيا، فأصبح لها شأن كبير خاصة ثقافيا مما جعل بعض المؤرخين يشبهونها بقرطبة عاصمة الدولة الأموية بالأندلس **(**الدوري، 1984، ص 79**).**

لقد كان من ثمار هذا التلاقح الثقافي بين المغرب الأوسط والأندلس الأموي أن استفاد الرستميون من العلوم التطبيقية التي كانت مزدهرة بالأندلس، كالحساب، وعلم الفلك أو ما كان يعرف بعلم الهيئة أي معرفة مواقع النجوم وهي علوم فرضتها العوامل التالية:

- العلاقات التجارية مرتبطة بالمسالك والطرق ورصد مواقع النجوم ما يسهّل عملية الاهتداء إلى الطرق خاصة تلك القوافل التي تسير ليلا، وفيها يقول الله عز وجل: "وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ" (سورة النحل" الآية 16).
- الفروض الدينية المتعلقة برؤية القمر مصداقا لقوله تعالى: " هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ". (سورة يونس الآية 5).

وفي هذا يقول الدرجيني: "وكان بيت الرستميين بيت العلوم وجامعا لفنونها من علم التفسير والحديث والفرائض، والأصول، والفروع، وعلم اللسان، وعلم النجوم"، وقد حكى عن بعضهم أنه قال: "معاذ الله أن تكون عندنا أمة لا تعرف منزلة القمر"(الدرجيني، ص 56) وهذا جليا من خلال أهمية علم الفلك من رصد حركة القمر والنجوم والكواكب وهو تدّبر وتأمل في خلق الله.

نتيجة لهذا التفتح الرستمي على الأندلس خاصة ،قال ابن الصغير: "إن سكان تاهرت علت وجوههم سيما الحضارة والرفاهية وبدت من محياهم أثار النعمة والغنى"(ابن الصغير، ص13)، وقال: "... وكانت المراكب بين الأندلس ومرسى عين فروخ تحمل العلماء والمصنفات العلمية والمؤلفات، ولم تزل الرسل تختلف وتطلع الأخبار عن الأحوال، والبلد زائدة عمارتها في ذلك كله والسيرة واحدة وقضاته مختارة وبيوت أمواله ممتلئة.." (ابن الصغير، ص13).

**خاتمة:**

- يظهر جليا من خلال هذه الورقة البحثية عدة نتائج أهمها:

- عرفت تيهرت العاصمة الرستمية تواجد العديد من الأندلسيين والتي استفادت الدولة من خبراتهم، فكانوا إما مستقرين بها أم عابرين يريدون القيروان والمشرق.
- لعبت مراسي المغرب الأوسط دورا بارزا في ازدهار العلاقات الثقافية بين الرستميين والأندلسيين.
- كما وجدنا علماء أندلسيين بالمغرب الأوسط كان الأندلس كذلك مقصدا لعلماء من المغرب الأوسط تصدوا للفقه والفتيا.
- يظهر من خلال النصوص التاريخية أن حركة العلماء كانت متبادلة بين العدوتين، رغم أنه كانت الغلبة في كثير من الأحيان للأندلسيين، بحكم تفضيل الإباضيين للمشرق أكثر من الأندلس، من جهة ومن جهة أخرى لتعصّب العامة في الأندلس للمذهب المالكي.

- رغم الاختلاف السياسي والمذهبي بين الدولة الرستمية في المغرب الأوسط والدولة الأموية في الأندلس إلا أن هذا لم يمنعهما من إقامة علاقات ثقافية.
- مثلت تاهرت عاصمة الرستميين دورا محوريا نموذجيا في سياسة التسامح وتقبل الآخر، والتأثير والتأثر في الجوانب الثقافية الحضارية.
- توسعت مجالات التواصل الثقافي بين الإقليمين لتشمل حركة نشطة في مختلف العلوم الدينية والدنيوية.

من خلال هذه الورقة البحثية يتضح أن تاهرت عاصمة الرستميين بالمغرب الأوسط مثّلت حجر الزاوية في الحركة الثقافية بين المشرق والمغرب الإسلاميين، فكان اتصالها وعلاقاتها وطيدة مع الدولة الأموية بالأندلس في الضفة الشمالية للبحر المتوسط وكانت مساجدها ومكتباتها وخزائنها وحارتها سوقا مطلوبة فاعلة في الحقل الثقافي الحضاري للعالم الإسلامي بين القرنين الثالث والرابع الهجريين.

- لقد استفادت تيهرت كثيرا من الفقهاء والعلماء على اختلافهم من خلال استقرارهم بها أو من خلال عبورهم، ومنه انصهرت العلاقات الثقافية بين الأندلس والمغرب الأوسط على العهد الرستمي، ولم يكن الاختلاف المذهبي قط عائقا في سبيل تطور هذه العلاقات الثقافية، وبالمقابل رحب بنو أمية في الأندلس بالإباضيين في بلادهم فرحل عدد معتبر من علماء الدولة الرستمية إلى الأندلس وتواصلوا مع علمائها.

**قائمة المصادر والمراجع:**

ابن القوطية. **(**1989، 1410هـ**). تاريخ افتتاح الأندلس**، تح، إبراهيم الأبياري (ط2، دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني، مصر، لبنان.

ابن حزم. (1416هـ/ 1996م). **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، تح محمد إبراهيم نصر، وعبد الرحمن عميرة (دار الجيل، بيروت – لبنان، ج5.

إبن حزم، الأندلسي أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد. (2007). **جمهرة أنساب العرب**، مر عبد المنعم خليل إبراهيم (ط4، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

ابن خلدون، عبد الرحمن. (2000). **تاريخ ابن خلدون، المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ضبط خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، (دط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 1421ه.

أبو زكريا يحي بن أبي بك**.** (1399هـ/ 1979م). **سير الأئمة وأخبارهم**، تح إسماعيل العربي، (دط، المكتبة الوطنية، الجزائر.

الأزدي، إبن الفرضي أبي الوليد عبد الله بم محمد بن يوسف بن نصير. (1417هـ/ 1997م) **تاريخ علماء الأندلس** (تاريخ العلماء والرواة بالأندلس) تح روحية عبد الرحمن السويفي (ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

إسماعيل، محمود.( 1976م)**. الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي**، (ليبيا-تونس-الجزائر-المغرب-موريتانيا) (ط2، دار العودة، بيروت لبنان.

الإيلاني، أبي علي صالح بن عبد الحليم. (2008م)**. مفاخر البربر**، تح عبد القادر بوباية (ط2، دار أبي رقراق، الرباط،

بحاز، إبراهيم بكير. (1414هـ-1993م) **الدولة الرستمية، 160هـ-296هـ/777- 909م، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية** (ط2، جمعية التراث، القرارة.

بك محمد دياب. (1913). **تاريخ العرب في إسبانيا** (المطبعة الجمالية بحارة الروم، مصر.

جودت، عبد الكريم يوسف. (1984)**. العلاقات الخارجية للدولة الرستمية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

الحريري، محمد عيسى. (1408هـ / 1987م). **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس160-296هـ** (ط3، دار القلم للنشر والتوزيع مصر.

الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت. (1397هـ/1977م). **معجم البلدان**، (دط، دار صادر، بيروت – لبنان، ج 2.

الحميدي، أبي عبد الله محمد بن أبي نصر. (1410هـ / 1989م). **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، تح إبراهيم الأبياري (دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني، القاهرة – بيروت، ج2.

الدرجيني، أبي العباس أحمد بن سعيد، **طبقات المشائخ بالمغرب**، تح إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة – الجزائر، ج1.

الدوري، عبد العزيز. (1984). **التكوين التاريخي للأمة العربية** (دراسة في الهوية والوعي)، مركز دراسات الوحدة العربية، (ط1، بيروت – لبنان.

السيد عبد العزيز، سالم. (1981). **المغرب الكبير (العصر الإسلامي) دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية** (دط، دار النهضة العربية، بيروت –لبنان: ج2.

الشماخي، أبي العباس أحمد بن سعيد بن عبد الواحد. (1412هـ/1992م) **كتاب السير**، تح أحمد بن سعود الشيباني (دط، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، ج1.

العدوي، إبراهيم. (1970). **بلاد الجزائر تكوينها الإسلامي والعربي**، (مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة – مصر.

عزب، محمد زينهم محمد (2013). **قيام الدولة الرستمية في المغرب**، (ط1، دار العالم العربي، القاهرة – مصر.

فيلالي، عبد العزيز. (1999). **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب** (ط2، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة -مصر.

القرطبي، ابن حيان. (1971م)**. المقتبس من أنباء أهل الأندلس**، تح تق تع محمود علي مكي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة، القاهرة – مصر.

المراكشي، ابن عذاري. (1983)**. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح ج س كولان وليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت – لبنان، ج2.

المراكشي، عبد الواحد. (2005م)**. المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، وضع هوامشه خليل عمران منصور، منشورات محمد علي بيضون، (ط2، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

الونشريسي، أحمد بن يحي. **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والمغرب**، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان دت.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح. (1375هـ/1956م). **تاريخ البلدان**، (دط، دارالفك، بيروت– لبنان.